

جامعة ميله  
كلية الآداب واللغات

عنوان الملتقى الدولي: عبقرية سيبويه اللغوية:  
رؤى نقدية تحليلية المنعقد يوم 13 ديسمبر 2022

عنوان المداخلة: تحديد المفاهيم الأساس حول  
شخصية سيبويه وقيمة كتابه العلمية

**Determine the basic concepts about  
Sibawayh's personality and the scientific  
value of his book**

الدكتور: عصام خروبي

أستاذ محاضر-أ - جامعة الأمير عبد القدر للعلوم  
الإسلامية

كلية الأدب والحضارة

قسم اللغة العربية

Kherroubiaissam25@gmail.com

ملخص المداخلة:

تهدف هذه المداخلة إلى عرض موضوع مهم في الدراسات اللغوية والنحوية، إذ سلّطت الضوء على شخصية سيبويه العبقريّة وبيان منزلة وقيمة كتابه العلميّة عن طريق شهادات أبرز العلماء قديماً وحديثاً، كما عمدت المداخلة أيضاً للحديث عن منهج سيبويه المتبع في كتابه.

## Abstract

This intervention aims to present an important topic in linguistic and gramatical studies, as it sheds light on Sibawayh's genius personality and explain a scientific status and the value of his book through the testimonies of the most prominent scholars in the past and the present, the intervention also intended to talk about Sibawayh's approach in his book.

## المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

يعتبر علم النحو من أهم العلوم اللغوية في العربية، فهو ركنها الأساسي، وحصنها المنيع، وله الفضل الكبير في خدمة وحماية العربية والحفاظ عليها على مدار الأعوام والسنون، فسلمت بفضلها الألسن وتقومت من هجنة اللحن وخطأ القول.

وكان أول من بسط علم النحو وبرع فيه إمام وشيخ النحاة، عمرو بن عثمان بن قنبر البصري، أبو بشر الملقب "بسيبويه"، وهو فارسي الأصل ولد عام (140هـ) في منطقة البيضاء إحدى قرى شيراز في بلاد فارس. هاجر من أرض فارس إلى البصرة حيث مراكز العلم ومناير العلوم أين لازم العلماء والفقهاء، وعرف بذكائه وحسن خلقه إلا أنه كان فيه حبسة في عباراته وكان علمه أبلغ من لسانه<sup>1</sup>.

وأبرز من تتلمذ على يديه أبو الحسن الأخفش، ومحمد بن المستنير البصري الملقب ب"قطرب". بقي سيبويه على هذه الحال حتى رحل إلى بغداد، وجرت بينه وبين الكسائي وهو إمام نحاة الكوفة مناظرة في أمور النحو، رحل سيبويه على إثرها إلى مسقط رأسه في بلاد فارس، وتوفي هناك وهو شاب عام (180هـ) بعد مرض

أصابه تاركاً وراءه ثروة كبيرة من العلم ينتفع منها الناس في كل زمان ومكان.

ومما لاشك فيه أن كتاب سيبويه أقدم وأول كتاب نحوي يصل إلينا من الكتب المؤلفة في علوم اللغة العربية، يحوي آراء النحاة الأولين كالخليل بن أحمد، وعيسى بن عمر، ويونس بن حبيب، وأبي الخطاب، والأخفش، ولا أوثق منه مصدراً للأدب العربي القديم بما نقله إلينا

من الشواهد الشعرية وعلوم لها صلة بالنحو كالبلاغة والقراءات. وقل أن نجد في علم من العلوم أو لغة من اللغات ككتاب سيبويه، ويحتفظ بقيمته احتفاظ العلم أو اللغة بها. وقد رافقه الإجلال والإعظام من تاريخ ظهوره للناس واستمر الأمر حتى يومنا هذا.

### \*منزلة سيبويه العلمية:

كان سيبويه ثاقب الذهن، مستقل الرأي، ذا بصيرة نفاذة، وكان إلى هذا يُناقش أساتذته وينقدهم ويخالفهم في بعض المسائل، حتى إن البعض منهم كان يتحاشى مُساءلته قال: "كنتُ عند إمام النحو يونس بن حبيب الضبي البصري فأقبل إليه سيبويه، فقال: أعود بالله منه. قال: فجاء فسأله فقال: كيف تقول مررت به المسكين؟ فقال جائز أن أجّره على البدل من الهاء، قال فقال له: فمررتُ به المسكينُ على معنى المسكينُ مررتُ به، فقال: هذا خطأ لأن المضمّر قبل الظاهر لقوة مُناظرته وحجّته وذكائه، حدّث الأخفش،

قال فقال له: إن الخليل أجاز ذلك وأنشد فيها أبياتاً، فقال: هو خطأ، فغمني ذلك، قال: فمررتُ به المسكينَ. فقال: جائز فقال: على أي شيء ينصب؟ فقال:

على الحال. فقال سيبويه: أليس أنت أخبرتني أن الحال لا تكون بالألف واللام؟ فقال له: صدقت، ثم قال لسيبويه، فما قال صاحبك فيه، يعني الخليل؟ فقال سيبويه: قال لي إنه يُنصب على الترخيم، فقال: ما أحسن هذا، ورأيتُه مغموما بقوله نصبته على الحال"<sup>2</sup>.

كما تحدث الكثير عن مكانة سيبويه العلمية، فلقد كان أعلم الناس باللغة حيث قال أبو إسحاق الزجاج النحوي الشهير عنه: "إذا تأملت الأمثلة في كتاب سيبويه، تبينت أنه أعلم الناس باللغة والنحو"<sup>3</sup>. وقال ابن خلكان: "كان أعلم المتقدمين والمتأخرين"<sup>4</sup>. وعندما سئل الأخفش سعيد بن مسعدة عن الثقة المأمون المقدم من أصحاب الخليل الذي يوثق بعلمه قال: "النضر بن شميل، وسيبويه ومؤرخ السدوسي"<sup>5</sup>.

وقال أبو زيد الأنصاري: "كان سيبويه غلاما يأتي مجلسي وله ذؤابتان، فإذا سمعته يقول: حدثني من أتق بعربيته فإنما يعنيني"<sup>6</sup>. أما الذهبي فيصفه بحجة العرب: "إمام النحو، حجة العرب.. قد طلب الفقه والحديث مدة، ثم أقبل على العربية، فبرع وساد أهل العصر، وألف فيه كتابه الكبير الذي لا يُدرك شأوه فيه... وقيل: كان فيه مع فرط ذكائه حبسة في عبارته، وانطلاق في قلمه"<sup>7</sup>.

**\*القيمة العلمية للكتاب:**

لقد قدم سيبويه للنحو خدمة لم يُسبق إليها فُعد كتابه معيار العربية وخرانة مادتها، فليس لنحوي قديم أو حديث كتاب يجارى كتابه أو يدانيه، فقد كان القدماء يعظمونه ويكبرونه، ولذلك سموه "البحر"، تشبيهاً له لكثرة درره وصعوبة فهمه، وكان المبرد يقول لمن أراد أن يقرأ عليه كتاب سيبويه: "أركبت البحر؟"<sup>8</sup> تعظيماً له واستصعاباً لما فيه. أما أبو عثمان المازني فقد كان معجباً بالكتاب حتى أنه قال: "من أراد أن يعمل كتاباً كبيراً في النحو بعد كتاب سيبويه فليستحي"<sup>9</sup>.

وقال الجاحظ: "لم يكتب الناس في النحو كتاباً مثله، وجميع كتب الناس عليه عيال. وقال أردت الخروج إلى محمد بن عبد الملك ففكرت في شيء أهديه إليه، فلم أجد أشرف من كتاب سيبويه، وقلت له: أردت أن أهدي إليك شيئاً، ففكرت، فإذا كل شيء عندك فلم أر أشرف من هذا الكتاب... قال: والله ما أهديت إلي شيئاً أحب منه"<sup>10</sup>.

وذكر صاعد بن أجمد الجياني الأندلسي: "لا أعرف كتاباً أُلّف في علم من العلوم قديمها وحديثها، فاشتمل على جميع ذلك العلم وأحاط بأجزاء ذلك الفن غير ثلاثة كتب... والثالث كتاب سيبويه"<sup>11</sup>.

وقال أبو البركات الأنباري: "وبرع في النحو، وصنف كتابه الذي لم يسبقه أحد إلى مثله، ولا لحقه أحد من بعده"<sup>12</sup>.

وقال ياقوت: "لأهل البصرة ثلاثة كتب يفتخرون بها على الأرض: كتاب النحو لسيبويه، وكتاب الحيوان للجاحظ، وكتاب أبي حاتم في القراءات"<sup>13</sup>.

لقد رُزق كتاب سيبويه القبول من علماء الأمة وأئمتها منذ خروجه، فكثرت حوله الدراسات والشروح والأبحاث التي لا يعلم عدّها إلا الله، فهي من الكثرة بحيث تند عن الحصر وكان أول من تلقى الكتاب عن سيبويه الأخفش سعيد بن مسعدة فكان طريق خروجه للناس، وعنه أخذته نحاة البصرة من تلاميذه وتلاميذ سيبويه، فقرأه على الأخفش كل من أبي عثمان المازني وأبي حاتم السجستاني وأبي عمر الجرمي، وأقرأه كل من هؤلاء أفواجاً من الطلبة كان بعضهم يتجشم عناء السفر من أجل أخذ هذا الكتاب مشافهة وسماعاً، ولا سيما بعد أن أصبح العالم لا يُعد كذلك إلا إذا قرأ كتاب سيبويه وفهمه<sup>14</sup>.

ولكون هذا الكتاب يمثل أساس ولب نظرية علم النحو العربي، فكان من الطبيعي أن يعتريه بعض الغموض في قضاياها ومسائله، الأمر الذي دفع العلماء من بعد سيبويه إلى الإهتمام به، فعكفوا على دراسته كثيرون يشرحونه ويفتشون عن مكامن درره، ويوضحون غوامض ألفاظه ويشرحون شعره ونثره، فكثرت تلك الشروح والتعليقات والنكت والاستدراكات، وبلغ التأليف الدائر في فلكه ذروته حتى لا تجد عصراً من العصور إلا وفيه جماعة من العلماء تصدوا له، حتى يمكن القول: إنه لم يمض جيل من الأجيال دون أن يترك للأمة تراثاً علمياً متصلاً بكتاب سيبويه.

ومن خلال تلك الدراسات تحقق لكل الباحثين أن كتاب سيبويه هو أول كتاب جامع للعربية، وأن سيبويه هو مؤسس علم النحو العربي، وواضع نظريته التي جرى عليها النحاة في درس العربية حتى اليوم<sup>15</sup>.

أما إذا تتبعنا أقوال العلماء المحدثين في كتاب سيبويه فقد حظي الكتاب بمدائحهم، وأقيمت حوله الكثير من الدراسات والأبحاث، حيث لم يترك الدارسون قضية من قضاياها أو مشكلة من مشاكله إلا وتناولوها بالبحث والدرس على اختلاف المناهج التي اتبعوها في دراساتهم.

حيث قال كارل بروكلمان: " كتاب سيبويه أقدم مصنف جمع مسائل النحو العربي كافة، وقد زاد المتأخرون كثيرا من تحديد مقاصد النحو، وتبيين حدوده، ولكنهم لم يكادوا يضيفون إليه شيئا ذا بال من الملاحظات الهامة والأنظار الجديدة"<sup>16</sup>.

ويقول د. علي النجدي ناصف: " وأحسب أن لو وزن الكتاب بكتب النحو كافة لرجحها وزنا، وأربى عليها قيمة، لا من الناحية التاريخية، ولكن من الناحية العلمية قبلها، ففيه كل ما فيها وزيادة، من النفائس المصونة والكنوز المذخورة"<sup>17</sup>.

إن خروج كتاب سيبويه بتلك الصورة المبهرة من استيفاء أبوابه ومسائله يؤكد أن سيبويه ألفه وهو في قمة نضجه العلمي والفكري؛ إذ ضمنه كل ما وقف عليه من مختلف الفوائد ومنثور المسائل، وما بدا له من أصول

وفروع فأتى الكتاب محكما على غير مثال مستويًا على  
سوقه يفتن به كل من تلقفه.

كما ذهب الدكتور أحمد بدوي إلى القول: "إن كتاب  
سيبويه صورة لآخر ما وصل إليه التقدم العلمي في النحو  
في أواخر القرن الثاني الهجري، بالإضافة إلى أنه يُعد  
الكتاب الأول والأخير في النحو"<sup>18</sup>.

فسمعة سيبويه العبقري تغزو الآن أوروبا. حتى أن  
كتابه الفريد يترجم إلى بعض اللغات الحية مثل اللغة  
الألمانية، والإسبانية، وغيرهما.<sup>19</sup>

وذكر الدكتور مصطفى عبد العزيز أن كتاب سيبويه  
"كان ولا يزال المرجع الأول الذي يهتدى به الباحثون في  
علوم النحو والصرف واللغة لما حواه من الأساليب  
والقواعد والشواهد والمصطلحات، والعلل، والأقيسة،  
والآراء التي فطن إليها بنفسه، أو رواها عن أئمة عصره  
وفي ذلك أكبر دليل على ما بذله هذا الإمام من جهود  
جبارة، وعناية فائقة في سبيل الحفاظ على اللغة وسلامتها  
من الخطأ"<sup>20</sup>.

### \*منهج كتاب سيبويه:

يرى الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح أن  
كتاب سيبويه محتوى للنحو العربي فهو يعرض القواعد  
النحوية في أسلوب تحليلي علمي؛ "لأنه دراسة  
موضوعية لمجاري كلام العرب"، ومحاولة لوضع  
ضوابط دقيقة لتلك المجاري، وهذا الأمر يقتضى النظر

في المادة النحوية بعد حصرها وتبويبها واستنباط ما يتردد منها وما يشذ عنها بغية الوصول إلى حقائق علمية<sup>21</sup>.

وذكر أن ما يميز المنهج الذي نهجه سيبيويه في دراسته للغة أنه نظر للغة واستخرج ظواهرها كما سمعها عن العرب، أي أنه ركز اهتمامه على لغة حية مستعملة ناظراً في أصواتها ومخارجها، وبالمقابل تطرق لما يمكن صوغه من وحدات لغوية لضبط تلك القواعد وهو ما سُمي بالحدود وإن كانت في بعضها يشوبها النقص، وهذا الأمر الذي سبق إليه أوائل النحاة "لم يستطع أي جيل من العلماء العرب إلى غاية الآن أن يجمع بينهما، أي بين النظر في اللغة كظواهر والنظر فيها كنظام ضوابط"<sup>22</sup>.

إن نحو سيبيويه قائم على سرد المسائل والأبواب النحوية وعدها موضوعات قائمة بنفسها صاغ في سياقاتها إطارها النظري مع الأمثلة المتعددة لكل قاعدة نحوية. أما الشكل الذي شاع واستقر في كتب النحاة من بعده فهو ما يمكن تسميته بنحو القاعدة، ويقصد به تقديم القاعدة النحوية مع شرح وتحليل وأمثلة وشواهد وتعليقات يؤدي فهمها إلى الاستعمال الصحيح للغة العربية من الناحية النحوية نتيجة للغاية التعليمية المقصودة من التأليف بهذه الصورة<sup>23</sup>.

ومن هنا يمكن القول أن كتاب سيبيويه هو كتاب علمي نظري أكثر منه تعليمي؛ لأن تناول سيبيويه للنحو

فيه يتم في إطار مجموعة أسس وأحكام استخدمها في  
صياغة نظرية نحوية محكمة ومتناسقة.

### \*الهوامش والإحالات:

- 1- تاريخ العلماء النحويين من البصريين والكوفيين وغيرهم، أبو المحاسن المفضل بن محمد بن مسعر التنوخي المعري. (ت: 442 هـ). ت: عبد الفتاح محمد لحلو. ط2. (1412 هـ-1992 م). الناشر: هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، القاهرة. ج1 ص 94.
- 2- المرجع نفسه.
- 3- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي. (ت: 636 هـ). ت: إحسان عباس. ط1، (1414 هـ-1993 م). ج5 ص2129.
- 4- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان (ت: 681 هـ). ت: إحسان عباس. دار صادر-بيروت. ج3 ص463.
- 5- المرجع نفسه. ج5 ص304.
- 6- وفيات الأعيان، وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان. ج3 ص465.
- 7- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن محمد الذهبي. (ت: 748 هـ). ط: (1427 هـ-2006 م). ج7 ص346.
- 8- إنباه الرواة على أنباء النحاة، جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القفطي. (ت: 646 هـ). ت: محمد أبو الفضل إبراهيم. ط1. (1406 هـ-1983 م). ج3 ص348.
- 9- المرجع نفسه. ج2 ص350.
- 10- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ابن خلكان. ج3 ص463.
- 11- إرشاد الأريب إلى معرفة الأديب، الحموي. ج5 ص3134.

- 12- نزهة الألباء في طبقات الأدباء، عبد الرحمان بن محمد بن عبيد الله الأنصاري، أبو البركات. كمال الدين الأنباري. (ت: 577هـ). ت: إبراهيم السامرائي. ط3. (1405هـ-1985م). مكتبة المنار، الزرقاء. الأردن. ج3. ص55.
- 13- المرجع السابق. ج3. ص1406.
- 14- نزهة الألباء في طبقة الأدباء، الأنباري. ص92-93.
- 15- ناصر فرحان الخريص : مايكل كارتر وجهوده في درس النظرية النحوية التراثية مع ترجمة بحثه: التداولية واللغة التعاقدية في البدايات الأولى للنحو العربي والنظرية الفقهية. ط19. ص375.
- 16- تاريخ الأدب العربي، كارل بروكلمان، ترجمه عبد الحلیم نجار. ط5. دار المعارف. ج2. ص135.
- 17- الكتاب، سيبويه. ج1. ص36-40
- 18- أحمد بدوي: سيبويه حياته وكتابه، مؤسسة هنداوي سي أي سي، المملكة المتحدة، د.ط، 2017م. ص41.
- 19- سيبويه في الميزان، أحمد مكي الأنصاري. ص103.
- 20- مصطفى عبد العزيز: المذاهب النحوية في ضوء الدراسات اللغوية الحديثة، المكتبة الفيصلية، جدة، ط1. 1986م. ص29.
- 21- عبد الرحمان الحاج صالح: البنى النحوية العربية، ص3.
- 22- عبد الرحمان الحاج صالح: البنى النحوية العربية، ص4.
- 23- حسن خميس الملخ: التفكير العلمي في النحو العربي، ص40.









